قمة عرمون : تغطية جديدة للتدخل السوري

بَعدَ التمهيد لـ"الطاولة المستديرة"

تراجع جديد لقيادة الحركة الوطنية؟

الفاشيون الذين استعجلوا عقد جلسة انتخاب الرئيس ، باتوا بعد جلسة الثامن من أيار يعلنون « ان العجله من الشيطان » ، وينظرون الى استقالة فرنجيه بعين التروي والتمهل . في حين ترى الحركة الوطنية ضرورة الاسراع باستقالة فرنجيه ، لكي تصبح معالجة التروي فيها ، عاد ليطفى من جديد ، جو المناورات السياسية ، الذي كان وما يزال عاملا مفسدا للقتال ، ومثبطا لعزائم المقاتلين .

فيما يلي سوف نستعرض اهم ما تميزت به الفترة منذ انتخاب « سركيس » حتى الان ، استعراضا يستهدف كشف القاسم المشترك بين الداعين للتريث بموضوع الاستقالة والمتهالكين على سرعة البت فيها .

١ ـ تصعيد عسكري فاشي ، ابتدأ بالحشود ـ التي جمعت في ظل قرار وقف اطلاق النار ، وتعهد النظام السوري للقوى الفاشية بعدم فتح المعركة في بيروت وفي محاور عينطورة ، والهجمات المتكررة عليها ، قصد فتح الطريق الى منطقة زحلة ، وتحقيق نصر عسكري جزئي ، يعيدلقيادة الفاشيين هيبتها التي فقدتها أمام ضربات جماهيرنا ، ويكرس انتصارها السياسي في جلسة الثامن من أيار .

٢ ـ الدور القمعي المكشوف الذي عملت القوات السورية على ممارسته ضد جماهير شعبناالبناني والفلسطيني ، بمحاولات ضرب طلائعه الوطنية والتقدمية ، والتي كان من أبرزها التعرض لابناء طرابلس ، مما أعطى الضوء الاخضر لجيش « طوني فرنجية » بتشديد الهجوم على الكورة ومواقع القوى الوطنية حول طرابلس .

٣ ـ على أثر الهجمات الفاشلة التي قامت بها قوات « بركات » و « الكتائب »و «الشمعونيين » عمدت هذه القوى الى تصعيد القصف الوحشي للاحياء والتجمعات المدنية الوطنية ، في محاولة منها لجر القوى الوطنية للرد على قصف المدنيين بقصف مماثل ، يتيح للفاشيين فرصة تغطية خسائرهم الفادحة في معارك الجبل ، وتبريرها باعتبارها ضحايا قصف المواقع المدنية . وقد عمدت اذاعة « فرنجية » والكتائب الى تضخيم اخبار قصف المنطقة الشرقية، بشكل ملفت للنظر.

أهداف الفاشيين من وراء التصعيد العسكري

بصرف النظر عن الاهداف المحدودة التي حاولت الفاشية اللبنانية بمساندةالقوات السوريةتحقيقها من وراء التصعيد العسكري ، وبصرف النظر عن حجم الجبهات وتعددها ، فان هذا التصعيد العسكري يبقى تصعيدا جزئيا وتكتيكيا ، الغاية منه تعزيز موقع الفاشية في الحوار الهادف الالتفاف على انتصارات الجماهير وافراغها من مضامينها باعادة سلطة الرجعية اللبنانية الى المناطق التي انحسرت عنها ـ وهي أكثر من أربعة اخماس لبنان ـ تحت ستار « الفراغ الامني » و « السيادة » وضرورة ايجاد القوى اللازمة لهذا الغرض . ان تأخير استقالة فرنجية ، ليس غاية بحد ذاتها ، ولا يفسرها عناد هذا الرجل ، أو تمسك الفاشيين به ، وتفضيله على الياس سركيس . وانما الغرض من اطالة عمر فرنجية في رئاسة الجمهورية هو ابقاءه ستارا من خلفه تربط مسألة « التسلم والتسليم » بموضوع «السيادة» و « الامن » . يقول بيار الجميل ، « من واجب الرئيس الجديد ان يعرف هل يستلم فقط نصا ، أو يستلم الارض والدولة والسلطة ؟ »

عندما فجرت الفاشية احداث لبنان منذ أكثر من ١٣ شهرا بهجمتها الشرسة على الجماهير اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، كانت تتذرع بفقدان « السيادة » و « الامن » ... والان بعد ان فقدت الفاشية المقدرة على الاستمراربهجمتها، وبعد ان انزلت بها جماهير شعبنا اللبناني والفلسطيني ضربات موجعة ، وطردتها من مناطق عديدة ، وبعد أن انهارت مؤسسات النظام الرجعي القمعية والادارية ، بعد ذلك كله ، تحاول الفاشية استعادة هيمنتها وترميم نظامها الرجعي المنهار تحت نفس شعارات « السيادة » و « الامن » .

فما هي « السيادة » وما هو « الامن » اللذين تريدهما الفاشية ومن ورائها الرجعية العربية واسيادها الامبرياليين ؟

ان جماهيرنا اللبنانية تفهم السيادة الوطنية تعبيرا عن حرية هذه الجماهير ومقدرتها ، في التصدي لاعتداءات العصابات الصهيونية ، وعلى دعم الشعب الفلسطيني في نضاله لاسترداد وطنه السليب . كما ان الامن الذي يريده شعبنا ، هو تعبير عن حرية هذا الشعب ، بعد سنة من التضحيات ، في بناء لبنان وطني ديمقراطي علماني عربي .

ان الفاشية تفهم السيادة الوطنية من خلال امكان ممارسة ديكتاتوريتها بشكل سافر على الجماهير الشعبية . والفاشية اللبنانية التي عملت وسعها لترجمة قناعاتها هذه ، تلجأ اليوم بعد فشلها في هذا الاطار ، الى أسلوب يمكنها من ممارسة سلطتها بشكل مستور ومطلق بعد أن أصيبت بضربات قاسمة . وهي اذ تتغنىبالسيادة الوطنية ، فانما تقصد بذلك ، رغبتها في العمل على تطويق المقاومة الفلسطينية ، ومنع الشعب الفلسطيني من الاستعداد لاستعادة كامل وطنه الفلسطيني ، بالتضييق عليه وضربه ودفعه في مستنقع جنيف ، والتسويات الاستسلامية . وهي تفهم الامن ، انطلاقا من رغبتها في قمع حركة الجماهير ، والالتفاف على انتصاراتها البطولية . ان السيادة التي يتغنى بها « بيار الجميل » وقسيس وشمعون وغيرهم ليست سيادة الجماهير اللبنانية على أرضها في تصديها للاعتداءات الصهيونية ، ولتدخل الرجعية العربية . ففي الوقت الذي تقيم فيه « الكتائب » الارض وتقعدها ، لوجود المقاومة الفلسطينية المسلحة في المخيمات وتعتبرها حالة من حالات الاعتداء على سيادة لبنان وامنه ، في نفس الوقت نراها ترحببالقوات السورية التي تعمل على ضرب الجماهير اللبنانية واعتقالها وزجها في السجون السورية !

ان الضربات التي انزلتها الجماهير اللبنانية والفلسطينية بالقوى الفاشية ، وانهيار النظام اللبناني بتفكك ادواته القمعية وكاملمؤسساته، جعل السيادة في لبنان مجزأة بين منطقتين . الاولى صغيرة ، تسيطر عليها القوى الفاشية وتمارس عليها سيادتها . والثانية تشمل غالبية الاراضي اللبنانية تمارس عليها الجماهيراللبنانية سيطرتها ـ بصرف النظر عن الاخطاء التي ترتكب وتشوه حقيقة ومضمون هذه السيادة ـ .

ان سياسة قيادة الحركة الوطنية اعادتالاعتبار للقوى الرجعية المسلحة من جهة وللقوى الفاشية من جهة ثانية .

● بالنسبة للرجعية المسلحة :

لقد اتاحت لها فرصة العودة الى التأثير بمجرى تسوية الوضع اللبناني ، بعد غيابها طيلة فترات الصدام المسلح ، لعجزها عن اتخاذ موقف فاشي الى جانب بقية أهل النظام ، ولعجزها عن مشاركة الجماهير نشاطها السياسي السافر الذي يتناقض مع مصالحها الطبقية . ان لهذه الرجعية مصلحة بانتهاء الصراع المسلح ، وبعودة الصراع الى الاطار « الديمقراطي » والبرلماني ، حيثتكمن امكانيتها في العمل . فتداعت ـ رشيد كرامي ، صائب سلام ، عبد الله اليافي ، المفتي حسن خالد ، والامام الصدر ، وأبو عمار ـ لعقد قمة « عرمون » التي تمخضت عن قيام مؤسى الصدر بوساطة بين قيادة الحركة الوطنية والنظام السوري .

● وبالنسبة للفاشيين :

ان سلوك قيادة الحركة الوطنية ، وزحفها وراء استبعاد القتال ، والتمسك بالحلول « السلمية » للحرب الاهلية في لبنان ، جعلها تقع في دوامة التعاون الطبقي من خلال اقتراحها لمشروع «الطاولة المستديرة » التي ستجمع كافة أطراف الصراع ـ حتى الفاشيين ـ للاتفاق على صيغة تنهيالصراع. ان اقتراح « الطاولة المستديرة » لاقى ارتياحا وتجاوبا لدى الاوساط الرجعية ، رغم مظاهر تصعيد القتال . فقد أعرب سركيس عن ارتياحه لهذا الاقتراح واعتبره حلا ممكنا . ومن الطبيعي أن تبدي الفاشية إرتياحها ايضا لهذا المشروع لانه يعتبر قمة تراجعات قيادة الحركة الوطنية في مسألة العداء للفاشية . فبعد اعلان شعار « العزل» على الكتائب ، كان تراجع قيادة الحركة الوطنية تدريجيا ، ضمن قبولهم في اللجان الامنية واللجنة العسكرية العليا ، تأتي هذه الخطوة ـ الطاولة المستديرة ـ كاخر التراجعات على صعيد اعطاء شرعية الصلح الطبقي مع اعتى فئات الرجعية فاشية في لبنان .

تصعيد عسكري من أجل المناورة السياسية !

في ظل هذا التوافق الضمني لدى جميعالاطراف، على الحل السلمي للحرب الاهلية في لبنان ، كيف نفهم التصعيد العسكري في الجبل وسائر مناطق لبنان ؟

اذا كان الهجوم الذي شنته الفاشية على محاور عينطورة ، والذي استهدفت فيه تعزيز مواقعها في الحوار حول مدى التنازلات التي ستقدمها مرغمة لانقاذ نظامها الذي تداعى كليا ، فان سلوك قيادة الحركة الوطنية بالرد على الهجوم ، وبالتصعيد في منطقة « عيون السيمان » ـ « فاريا » ، لا يختلف عن سلوك الفاشيين ، الا لاختلاف مواقع القوى وطبيعتها . فالفاشيون وقيادة الحركة الوطنية ، كلاهما يريد أن يدخل حلبة الحوار حول « الطاولة المستديرة » من موقع قوي ، هذا في وقت يمكننا أن نخرجباستنتاجات مهمة للغاية، من معارك الجبل ومن معارك الحركة الوطنية مع عصابات المخابرات السورية في طرابلس وغيرها . ان هذه المعارك تؤكد الحقائق التالية :

١ ـ قدرة الحركة الوطنية ، مدعومة من المقاومة الفلسطينية ، ليس على الصمود في وجه الفاشيين فحسب بل تؤكد على مقدرة الجماهير اللبنانية بأخذ المبادرة ومواجهة الفاشية في مناطقها بالذات ، ودحرها هناك .

٢ ـ ان الصدامات التي حصلت بين عصابات الاسد والحركة الوطنية والنتيجة التي آلت اليها هذه الصدامات ، على الصعيد العسكري والسياسي ، تؤكد على مقدرة جماهيرنا بالتصدي للتدخل الخارجي واحباطه ، كما تؤكد على الخطر الذي يلحق بالنظام الذي تسول له نفسه قمع جماهيرنا وضربها . فالجماهير السورية عبرت عن سخطها ـ وان بشكل محدود ـ على مؤامرات نظامها ، رغم ان هذا النظام واجهها بالاسلوب البوليسي الفاشي ، وزج بها في السجون .

٣ ـ سقوط نظرية مشاريع التقسيم ، التي طرحها على سبيل التهويل والابتزاز بعض غلاة الرجعية « عقل » و « قسيس » . وانهيار مبررات المبالغة في تقدير جدية التلويح بالتقسيم . فالمعارك التي تدور في كسروان تؤكد على امكان اسقاط هذه المشاريع فيما لو سولت الفاشية لنفسها تنفيذ أحلامها .

الخيار الوحيد أمام الحركة الوطنية

اذا كانت قيادة الحركة الوطنية تخشى مشاريع الفاشية الرامية الى ربط استقالة « فرنجية » باستتباب « الامن » والداعية الى استقدام قوات عربية أو أجنبية ، تحفظ سيادة لبنان حسب ادعاء الفاشيين ، واذا كانت قيادة الحركةالوطنية تصر على ضرورة استقالة فرنجية واعلان حل شامل منه ينبع حل « الفراغ الامني » ، اذا كانت هذه هي مواقف قيادة الحركة الوطنية فان ذلك يعني، أن هذه القيادات ، غير قادرة على الخروج بحل للازمة اللبنانية ، يخرج عن الاطار الذي رسمته الامبريالية لاعادة ترتيب المنطقة ومن ضمنها الواقع اللبناني وفق مشاريع « براون » .

ان الخيار الوحيد أمام قيادة الحركة الوطنية، بعد هذه الحرب الاهلية المليئة بالعبر الدالة على احتمالات النصر على الفاشيين ، يتمثل في متابعة القتال حتى انهاء وجود الفاشيين ، واقامة النظام الوطني الديمقراطي . عندها يصبح فعلا بامكان الحركة الوطنية ان تثبت الحل الذي تريد لصالح الجماهير اللبنانية والفلسطينية .

جوزف عبد الله
حزب العمل الاشتراكي العربي

"السيادة" و"الامن" في القاموس الانعزالي: ديكتاتورية ضد الشعب وتطويق للمقاومة